الباب الأول

مصادر الشيخ - رحمه الله - في التلقي، ومنهجه - رحمه الله - في الاستدلال ، وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : مصادره - رحمه الله - في التلقي .

الفصل الثاني : منهجه - رحمه الله - في الاستدلال

الفصل الثالث : سمات منهجه - رحمه الله - .

الفصل الأول

مصادر الشيخ ـ رحمه الله ـ في التلقي ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : معنى مصادر التلقي.

المبحث الثاني : التعريف بمصادر الشيخ ـ رحمه الله ـ في التلقي ، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : المصدر الأول : كتاب الله عز وجل.

المطلب الثاني :المصدر الثاني : سنة النبي صلى الله عليه وسلم .

المطلب الثالث : المصدر الثالث :الإجماع.

المبحث الأول

معنـــى مصـــــادر التلقي لغةً واصطلاحاً

هذه الجملة تتكون من مفردين: مصادر، وتلقي.

فمصادر: (جمع مصدر، واشتقاق الكلمة من صدر: والصدر نقيض الورد، صدر عنه يصدر، ويصدر صدراً، ومصدراً.

والصَّدَرُ بالتحريك: رجوع المسافر من سفره، والشاوية من الورد.

وقيل الصدر عن كل شيء: الرجوع. قال الليث: الصدر. الانصراف عن الورد وعن كل أمر [1].

والصدر أعلى مقدم كل شيء وأوله، وكل ما واجهك.

والرجوع كالمصدر، يصْدُر ويصْدِر، وقد صدر غيره، وأصدره وصدَّره فصدر [2].

فمن هذا التحليل لكلمة مصدر نجد أن المعنى يدور حول الرجوع بعد الورود؛ كما يقول أئمة اللغة.

ونستطيع أن نجعل لها معنى اصطلاحياً على ضوء ما ظهر من المعنى اللغوي. فالمصدر: (هو ما يعتمد عليه الباحث وغيره: من كتب، ورسائل، أو أقوال موثوقة عنده، فيعمل بمقتضى ما فيها، ويصدر عما فيها من علم).

أما التلقي:

التلقّي لغةً واصطلاحاً:

قال ابن منظور: " والتلقي هو الاستقبال؛ ومنه قوله ـ ﷻ ـ: p o n mM
L w v u t s r q[3].

---

(١) لسان العرب لابن منظور(٨/٢١٠- ٢١١) مادة: ص.د.ر.

(٢) القاموس المحيط، للفيروزآبادي(ص: ٣٩٤) مادة ص.د.ر.

(٣) سورة فصلت (آية : ٣٥) .

قيل: فلان يتلقى فلاناً أي يستقبله[١].

وهو الاستقبال بمواجهة[٢].

ويقال: تلقى فلاناً: أخذ منه. كما يقال تلقى العلم من فلان[٣].

ومنه تلقي الركبان: وهو أن يستقبل الحضري البدوي قبل وصوله إلى البلد[٤].

فالتلقي: الاستقبال.

والتلقي اصطلاحاً:

التلقي في اصطلاح الفقهاء " تلقي العلم: استقباله وأخذه بحرص "[٥].

فمصادر التلقي نستطيع أن نعرِّفها تعريفاً موافقاً لما نحن بصدده، بأن مفهوم مصادر التلقي عند أهل السنة والجماعة: ما تؤخذ منها الأدلة العلمية والعملية: كتاب الله ﷻ، وسنة النبي ﷺ، والإجماع الذي يستند إلى دليل أو قاعدة من قواعد الشريعة الإسلامية.

وذلك لأن الكلام عن العقيدة من أخطر الأمور؛ فبصلاحها تصلح الأعمال، والعكس بالعكس.

وأما مصادر التلقي عند الشيخ ـ رحمه الله ـ فهي الأصول التي كان يستقي منها الشيخ ـ رحمه الله ـ العقيدة، ثم يبثها بين الناس، بعد العمل بها.

---

(١) انظر: لسان العرب (١٢/ ٣١٩).

(٢) معجم لغة الفقهاء، (ص١٢٤).

(٣) انظر: المعجم الوسيط (٢/٨٣٦).

(٤) لسان العرب، لابن منظور(١٣/ ٢٢٧) مادة: ل.ق.ي.

(٥) معجم لغة الفقهاء وضعه أ.د. محمد رواس قلعة جي، ط١ (بيروت: دار النفائس – ١٤١٦هـ) ص١٢٤.

المبحث الثاني

التعريف بمصادر الشيخ - رحمه الله - في التلقي

وفيه ثلاثة مطالب:

أولاً: المصدر الأول: كتاب الله عز وجل.

ثانياً: المصدر الثاني: سنة النبي ﷺ.

ثالثاً: المصدر الثالث: الإجماع.

المبحث الثاني

التعريف بمصادر الشيخ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في التلقي

لقد سلك الشيخ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ طريق السلف الصالح في مصادره في التلقي، متحريًا بذلك قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: M & ' (L[١]. وهو طريق لكل من أراد الله عَزَّ وَجَلَّ والدار الآخرة، فهم أقرب إلى فهم مراد الله عَزَّ وَجَلَّ، ورسوله ﷺ من غيرهم؛ فقد زكاهم النبي ﷺ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»[٢]، فَهُمُ السلف الصالح.

ومن المعلوم أن أئمةَ الدعوة حلقةٌ متصلةٌ ببعضها البعض من قديم الزمان، يأخذ بعضهم العلم من بعض، وإلى يومنا هذا.

وقد منَّ الله عَزَّ وَجَلَّ على هذه البلاد بأئمة صالحين، أتقياء، أنقياء، سلكوا هذا المنهج القويم، ودعوا الناس إليه، آمرين بالمعروف، ناهين عن المنكر، فكانت الثمرة العاجلة هي الأمن والطمأنينة، ورغد العيش، وإقبال الأمم إلى هذه البلاد لطلب المعيشة، مع أنها ليست بلاد زرع أو أنهار، ولكن فيها ما هو أعظم ما في الدنيا، وهو التوحيد، ومحاربة الشرك، والخرافات، دين نقي، غير محرف، ولا مبدل..، لا ترى مظاهر الشرك من مشاهد، ومزارات وأضرحة، وسجود للبشر، فهذه منكرات لم يعتد أهل هذه البلاد على رؤيتها، فضلاً عن العمل بها، والوقوع فيها.

وهذا الأمر له سر عجيب، وهو التمسك بكتاب الله عَزَّ وَجَلَّ عقيدةً، وعلماً وعملاً، وعدم تقديم الهوى، والعقل على كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، أو سنة رسوله ﷺ.

ومن المعلوم أن للسلف مصادر اعتمدوا عليها في تقرير العقيدة الإسلامية. وسار عليها الأئمة، ومن الأعلام الذين سلكوا هذا المنهج: الشيخ عبدالله بن حميد ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ.

أولاً: المصدر الأول: كتاب الله:

المصدر الأول كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، ، وهو القرآن، والفرقان، والنور، والذكر،

---

(١) سورة التوبة، (آية: ١٠٠).

(٢) أخرجه البخاري (٢/١٣٣٥ برقم ٦٠٦٥)، ومسلم (٤/١٩٦٣ برقم ٢٥٣٣).

والدليل، والبرهان، والصراط المستقيم، وغير ذلك من الأسماء التي اختص بها كتاب الله ﷻ، المحفوظ من الزيادة والنقصان، والتبديل والتغيير على مر الأزمان[١].

اعتنى العلماء في الماضي والحاضر بكتاب الله ﷻ، والقصد من وراء ذلك تبصير الأمة الإسلامية بمراد الله ﷻ من خطاباته، ومكنون أخباره وأنبائه، عناية فاقت التصورات، وحُقَّ لهم ذلك؛ فهم ينعمون بمعين لا ينضب، ومصدر ومرجع لكل ما يتعلق بشؤون الحياة في كل زمان ومكان.

فكان من هؤلاء العلماء العلامة الشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ، جعل من منهجيته العلمية الأولى: أن القرآن هو المصدر الأول في تلقي التشريع، ثم تقرير ما نص عليه من أحكام علمية أو عملية. ونجد الشيخ ـ رحمه الله ـ يؤكد، ويقرر هذه المسألة في عدة مواقف مكتوبة، أو مسموعة:

يقول ـ رحمه الله ـ: قوله ﷺ: **«وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ، كِتَابَ اللَّهِ»**[٢].

«تَرَكْتُ فِيكُمْ» أي: فيما بينكم، **«مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ»** أي: إن تمسكتم به، **«إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ»** واعتصمتم بما تضمنه من الأوامر والنواهي، واعتقدتم ما تضمنه من العقائد الحقة؛ إذ هو كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد. ثم نقل كلامًا لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ[٣]، وأقره عليه.

---

(١) والقرآن: هو الكلام المعجز المنزل على النبي، المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته. انظر: مناهل العرفان للزرقاني (١٢/١).

(٢) أخرجه مسلم (٨٩٠/٢).

(٣) هو: تقي الدين أبو العباس **أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية** الحراني ثم الدمشقي، الحنبلي، ولد سنة إحدى وستين وست مئة، نشأ في بيت علم ودين، وجلس للإفتاء وعمره تسع عشرة سنة، وخلف والده في التدريس بدار الحديث وعمره اثنتان وعشرون سنة، وسُجن غير مرة إلى أن توفي معتقلاً بقلعة دمشق في العشرين من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة. ينظر: معجم الذهبي (ص٢٦)، والدرر الكامنة (١٦٨/١)، والبدر الطالع (٦٣/١).

وهنا نصه:

"وكان من أعظم ما أنعم الله به عليهم اعتصامهم بالكتاب والسنة، فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة، والتابعين لهم بإحسان ـ أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن، لا برأيه، ولا ذوقه، ولا معقوله، ولا قياسه، ولا وجده، فإنهم ثبت عنهم بالبراهين القطعيات، والآيات البينات ـ أن الرسول ﷺ جاء بالهدى، ودين الحق، وأن القرآن يهدي للتي هي أقوم، فيه نبأ من قبلهم، وخبر ما بعدهم، وحكم ما بينهم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، هو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن، فلا يستطيع أن يزيغه إلى هواه، ولا يحرف به لسانه، ولا يخلق عن كثرة الترداد، فإذا ردد مرة بعد مرة لم يخلق، ولم يمل كغيره من الكلام، ولا تنقضي عجائبه، ولا تشبع منه العلماء، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُديَ إلى صراط مستقيم" (١).

ويرى ـ رحمه الله ـ أن أعظم مصاب أصاب الأمة الإسلامية، حين تركت كتاب الله، وتلقت أحكامها من غيره، فها هو ـ رحمه الله ـ يقول:

"وما ضعف المسلمون، وزال ما كان لهم من الملك الواسع، إلا بإعراضهم عن هداية القرآن، ولا يعود إليهم شيء مما فقدوا من العز، والسيادة، والكرامة، إلا بالرجوع إلى هدايته، والاعتصام به" (٢).

وفي موضع آخر يقول ـ رحمه الله ـ:

"فإن الناس عندما يتنازعون في شيء فإنهم يردونه إلى القرآن، فإن الله أمرنا أن نتحاكم إلى القرآن عند التنازع، ونهانا أن نتحاكم إلى القوانين الوضعية، أو إلى غيرها من

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٣/ ٢٨).

(٢) الإبداع شرح خطب حجة الوداع، للشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ (ص٢٨: ٣٠)، تصوير من أصل المكتبة المركزية، جامعة الملك عبد العزيز، جدة.

النظم والآراء الفاسدة، فعند أي مشكلة نردها إلى القرآن، ونجد حلها في القرآن"[١].

ومن الشواهد التطبيقية على اعتماد الشيخ ـ رحمه الله ـ على القرآن الكريم :

يقول الشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ [٢] :

"تجدُ أكثر الناس الآن تنوعت آراؤهم، واختلفت طرقهم: هذا بعثي، هذا إلحادي، هذا شيوعي، هذا تيجاني، هذا نقشبندي. ألم نكتف بالقرآن والسنة عن هذا كله؟، ونسلك مسلك سلفنا الصالح، فما درج عليه أصحاب رسول الله ﷺ، فالله ﷻ يقول:] J K L M N Z[٣]، وهذا مدلول القرآن والسنة،] P Q R Z أي: الشبه والشهوات] S T U V Z وهي طريقة فلان: شاذلية، تيجانية، إلحادية، شيوعية، بعثية، ماسونية، بهائية، إلى غير ذلك من هذه الطرق] I J K L M N O P Q R Z[٤] بل هو طريق واحد، وهو الذي يوصل إلى الله ﷻ، وغيرها من هذه الطرق لا شيء، بل هي كلها شر وبلاء، فالطريق الموصل إلى الله ﷻ هو ما جاءنا به رسول الله ﷺ ، فالله ﷻ يقول :

] J K L M N P Q R S T U V X Y
Z [\ Z[٥]

(١) الوجه الأول من شريط العناية بالقرآن، للشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ، من تفريغ الباحثة.

(٢) شرح كتاب التوحيد، باب : ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبل ....

(٣) سورة الأنعام (الآية : ١٥٣).

(٤) سورة الأنعام (الآية : ١٥٩).

(٥) سورة الأنعام (الآية : ١٥٣).

والناظر في كتب الشيخ – رحمه الله - يجد أنه يبدأ بالنصوص من القرآن، ثم السنة، ثم يذكر الإجماع إن وُجد، حيث يسوق الشيخ – رحمه الله - الأدلة من القرآن، ثم يذكر بعدُ الأدلة من السنة، وهذا واضح في: "رسالة الدعوة إلى الجهاد للشيخ – رحمه الله -"، يذكر الأدلة في فضل الجهاد عموماً، والشهادة في سبيل الله ﷻ فيقول:

قوله ﷻ M ; < = > ? @ A B C D E F G I
K L M N O P Q R S T U V W X Z [\
] ^ _ ` a b d e f g h i j k L[1].

وقوله ﷻ: M { | } ~ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ ©
مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ´ µ ¶ ¸ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ
شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ! " # $ % & ( ) * + ,
- . / 0 1 2 3 4 L[2].

وأخبر عما يلقاه من يستشهد في سبيل الله ﷻ من الحياة، وأنهم عند ربهم يرزقهم ما يشاؤون، وتعلو وجوههم البشارة:

وقوله ﷻ: M d e f g h i j k m n o p q s t
u v w x y z { | } ~ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ
© بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ´ ¶ ¸ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ
أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ L[3].

وقوله ﷻ: M A B C D E F H I J K L M N
O P RS T U V L[4].

---

(١) سورة آل عمران (آية ١٢٤- ١٢٦).

(٢) سورة آل عمران (آية: ١٣٩- ١٤٢).

(٣) سورة آل عمران (آية: ١٦٩- ١٧٢).

(٤) سورة النساء (آية: ٧٦).

ثانياً : المصدر الثاني: سنة النبي ﷺ :

مما يعتمده الشيخ ـ رحمه الله ـ في التلقي سنة النبي ﷺ ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، وهم أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي ـ } ـ أجمعين.

فالسنة في اللغة :

سنة الله : أحكامه، وأمره، ونهيه، سنَّها الله للناس، و بينها. والسنة : السيرة، حسنة كانت أو قبيحة.

والسنة : الطريقة. والسنة : الحديث، والسنة : الطريقة المحمودة المستقيمة. والسنة في الأصل سنة الطريق، وهو طريق سنهُ أوائل الناس، فصار مسلكاً لمن بعدهم. والسنة : ضرب من تمر المدينة [١] .

والسنة بالضم والتشديد : الطريقة ولو غير مرضية [٢] .

وفي الاصطلاح :

ما أمر به النبي ﷺ ، ونهى عنه، وندب إليه قولاً وفعلاً، مما لم ينطق به الكتاب العزيز[٣] .

وقيل : ما كان من العبادات نافلة منقولة عن النبي ﷺ ، وتطلق على ما صدر عن الرسول ﷺ من الأدلة الشرعية، مما ليس بمتلو، ولا هو معجز، ولا داخل في المعجز، ويدخل في ذلك أقوال النبي ﷺ ، وأفعاله، وتقاريره [٤] .

وحجية السنة لا تخفى على أحد، وأنها المصدر الثاني الذي يتلقى العلماء منه ، ويرجعون إليها في المعضلات، وقد حرص علماء السلف على الاستدلال بكل ما صح من سنة النبي ﷺ ، وتبعهم من سار على نهجهم، حتى أصبح العمل بالسنة شعاراً لأهل الحق، فكان لأئمة الدعوة أمثال : الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ وغيره، جهدٌ وحرصٌ واضحٌ على العلم بالسنة والعمل بها، وحث الناس على التمسك بها.

---

(١) لسان العرب لابن منظور(٧/٢٨٠- ٢٨٢).

(٢) الكليات للكفوي(ص ٤٩٧) .

(٣) النهاية في غريب الأثر لابن الأثير(٢/٤٩).

(٤) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (١/١٦٩).

والذي ينظر في كتابات الشيخ عبدالله بن حميد ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ يرى كثرة استدلال الشيخ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ بالسنة النبوية، أو يقرر من سبقه على الاستدلال بالسنة النبوية، بعيداً عن تحكيم الهوى والعقل، فانظر على سبيل المثال كتاباته: (هداية الناسك إلى أهم المناسك)، و(الدعوة إلى الجهاد في القرآن والسنة)، و(الإبداع شرح خطب حجة الوداع)، وغير ذلك مما يطول ذكره.

فاستدلاله، واحتجاجه، وتقريره، دليل على اعتماده على السنة، وهو كغيره ممن سبقه من أئمة الهدى.

يقول ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في معاني قوله ﷺ: «تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ: كِتَابَ اللَّهِ»[1].

"واقتصر الرسول ﷺ في خطبته على ذكر الكتاب، دون ذكر السنة؛ لاشتماله على الأمر بالعمل بالسنة؛ لقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: M G H I J L[2]. وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: M p q r s t u v w L[3]، ولقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: M لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ L[4]". وما أصاب الأمة الإسلامية من مصائب وكوارث وتشتت وتفرقة إلا بسبب بعدها عن المنهج الرباني، وهو التمسك بالكتاب والسنة[5].

ثالثاً: المصدر الثالث: الإجماع:

الإجماع مصدر من مصادر التشريع المعتبرة عند المسلمين.

الإجماع لغة: الاتفاق، وَصَرُّ أخلاف الناقة، وجعل الأمر جميعاً بعد تفرقه، أجمعت الأمر، والأمر مجمع، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: M 5 6 7 L[6][7].

---

(١) سبق تخريجه (ص٩٧).
(٢) سورة المائدة (آية: ٩٢).
(٣) سورة الحشر (آية: ٧).
(٤) سورة الأحزاب (آية: ٢١).
(٥) الإبداع شرح خطب حجة الوداع (ص ٣٠).
(٦) سورة يونس (آية: ٧١).
(٧) القاموس المحيط للفيروزآبادي (ص٦٥٥).

جمع الشيء عن تفرقة، يجمعه جمعاً، وجمَّعه، وأجمعه، فاجتمع.

وجمع أمره، وأجمعه، وأجمع عليه: عزم عليه، كأنه جمع نفسه له، والأمر مجمع.

والإجماع: الإعداد والعزيمة على الأمر، والإجماع: الإحكام والعزيمة على الشيء، تقول: أجمعت على الخروج، أجمع الرأي ،وأزمعته، وعزمت عليه، والإجماع: أن تجمع الشيء المتفرق جميعاً، فإذا جعلته جميعاً بقي جميعاً، ولم يكد يتفرق كالرأي المعزوم عليه، المُمْضَى[١].

واصطلاحاً: اتفاق المجتهدين من أمة محمد ﷺ بعد زمانه في عصر على حكم شرعي[٢].

وقيل: عبارة عن اتفاق المكلفين من أمة محمد ﷺ في عصر من الأعصار على حكم واقعة معينة[٣].

يقول شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ:

وأما إجماع الأمة في نفسه فهو حق، لا تجتمع الأمة على ضلالة؛ كما وصفها الله بذلك في الكتاب والسنة[٤].

يقول شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ: "معنى الإجماع: أن يجتمع علماء المسلمين على حكم من الأحكام، وإذا ثبت إجماع الأمة على حكم من الأحكام لم يكن لأحد أن يخرج عن إجماعهم، فإن الأمة لا تجتمع على ضلالة"[٥].

فمن المصادر التي تلقى منها الشيخ ـ رحمه الله ـ الإجماع، وهو كغيره ممن يعتقدون أن الإجماع حجة يجب التحاكم إليه، وفي مسائل النزاع إذا وجد إجماع انفصلت المسألة، ومعلوم منهجية أئمة الدعوة، وتعظيمهم للإجماع.

---

(١) لسان العرب لابن منظور (٣/١٩٧- ١٩٨).

(٢) الكليات للكفوي (ص ٤٢) وانظر: إرشاد الفحول للشوكاني، (ص ١٣١) والإحكام للآمدي (١/١٩٥) وشرح مختصر الروضة للطوفي(٣/٥) وغيرها من كتب الأصول في مبحث الإجماع.

(٣) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي، (١/١٩٦).

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٩/١٧٦).

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٠/١٠).

وقد قُرئ في مجلس الشيخ ـ رحمه الله ـ كتاب الاعتصام للشاطبي، وهو كتاب عظيم من أهم موضوعاته بيان البدع، ومنشؤها، ومن مناهج الشاطبي في نقض البدع استعمال إجماع واتفاق الأمة.

وكذا ما كان يقرره من أقوال ابن القيم ـ رحمه الله ـ ، خاصة في كتاب الصواعق المرسلة، إذ يقول: "فإن الاعتبار في الإجماع على كل أمر من الأمور الدينية بأهل العلم به دون غيرهم"(١)

والشيخ ـ رحمه الله ـ سمع كتب أئمة الدعوة، ومن أعظم المصادر التي اعتمدت عليها تلك المؤلفاتُ في استدلالها: الإجماع.

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة لابن قيم الجوزية(٢/٤٥٦).

الفصل الثاني

منهجه في الاستدلال

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: تقديم النقل على العقل في الاعتقادات والعبادات .

المبحث الثاني: رد كل قول خالف الكتاب والسنة .

المبحث الثالث: إعراضه ـ رحمه الله ـ عن الكلام الجدلي .

المبحث الرابع: موقفه ـ رحمه الله ـ من التقليد في الاعتقاد.

تمهيد :

تعريف المنهج لغةً : المنهج : المراد به : الطريق المستمر، وفي القاموس : النهج : الطريق الواضح ، كالنهج والمنهاج ، وأنهج : وَضَحَ ، وأوضح ، نَهَجَ الطريق : سلكه[١] .

تعريف المنهج اصطلاحاً: هو " الطريق المؤدي إلى التعرف على الحقيقة في العلوم ، بواسطة طائفة من القواعد العلمية ، تهيمن على سير العقل ، وتحدد عملياته ، حتى يصل إلى نتيجة معلومة"[٢].

وعرفه البعض بأنه "الطريق المؤدي إلى الغرض المطلوب ، خلال المصاعب والعقبات "[٣].

وجاء في القرآن الكريم مرة واحدة[٤] في قوله ـ ﷻ ـ: M j k l m n L [٥].

قال البغوي ـ رحمه الله ـ[٦] : "قال ابن عباس والحسن ومجاهد[٧] : أي سبيلاً وسنة "[٨].

---

(١) القاموس المحيط ، للفيروز آبادي(ص :٢٠٣) مادة : ن هـ ج.

(٢) العلم والبحث العلمي ، حسين عبد الحميد رشوان ، الإسكندرية : المكتب الجامعي ، (ص١٤٣- ١٤٥)، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها ، ومناهج البحث العلمي عند العرب ، جلال محمد عبد الحميد موسى ، ط١ ، بيروت : دار الكتاب اللبناني ، ١٩٧٢م ، (ص٢٧٣).

(٣) مناهج البحث العلمي أسس وأساليب ، د. عمار لوحوشي ، ود. محمد الذنيبات ، ط١ ، الأردن : مكتبة النمار ، ١٤١٠هـ ، (ص٩٢) ، ومنهاج البحث العلمي ، د. عبدالرحمن بدوي ١٩٧٧م ، (ص٣).

(٤) انظر : معجم الألفاظ والأعلام القرآنية ، (ص٥٤٣) .

(٥) سورة المائدة ،(آية : ٤٨) .

(٦) هو : أبو محمد الحسين بن مسعود **البغوي** الشافعي المفسر الملقب بمحيي السنة البغوي ، صاحب التصانيف ، كان ورعاً زاهداً على طريقة السلف الصالح ، مات في شوال سنة : ٥١٦هـ. انظر : سير أعلام النبلاء (٤٣٩/١٩) ، ومعجم المؤلفين(٦٤٤/١).

(٧) هو : **مجاهد** بن جبر أبو الحجاج المخزومي مولاهم المكي ، شيخ القراء ، وإمام المفسرين ، روى عن ابن عباس فأكثر وأطاب ، وعنه أخذ القرآن والتفسير والفقه ، وعرض عليه القرآن أكثر من ثلاثين مرة ، ولد سنة إحدى وعشرين ، وتوفي سنة أربع ومئة. ينظر : تاريخ دمشق (١٧/٥٧) ، والسير (٤٥٠/٤) ، ولسان الميزان (٣٤٩/٧) ، وطبقات الحفاظ (ص٤٣).

(٨) انظر : تفسير البغوي (٦٦/٣) ، والمفردات في غريب القرآن (ص٢٥٨).

كما ذكر الزمخشري[١] في تفسيره، أن معنى "منهاجاً" أي طريقاً واضحاً[٢].

تعريف الاستدلال لغةً :

هو: " من دل على الشيء إذا أرشد إليه"[٣]، " والدليل ما يستدل به "[٤]، و"هو المرشد والكاشف "[٥].

و"دل" عليه وإليه: أرشد، يقال: دله على الطريق ونحوه، و"استدل" عليه طلبه أن يُدل عليه، وبالشيء اتخذه دليلاً عليه[٦] .

تعريف الاستدلال اصطلاحاً :

هو " إقامة الدليل على صحة الدعوى "[٧].

وقال الجرجاني: تقرير الدليل لإثبات المدلول "[٨].

وأعني بمنهجية الشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ في الاستدلال، طريقته في التعامل مع المسائل عامة: عقدية أو عملية، فهذا الجانب مهم؛ إذ به يتبين العالم، ويتضح طريقه من خلال تعامله مع الأدلة، أيّهما يُقدَّم. فتمسُّكُ العالم بالأدلة من الوحيين، وتقديمهما على غيرهما ـ دليل على صلاح الدين وعمق الرغبة فيما عند الله عز وجل، وبرهان صحة الاعتقاد، وسلامة القلب من الزيغ والضلال.

---

(١) هو : محمود بن عمر بن محمد بن أحمد أبو القاسم **الزمخشري**،يلقب جار الله، نحوي لغوي معتزلي مفسر،ولد سنة سبع وستين وأربع مئة بزمخشر من قرى خوارزم،كان واسع العلم ، مجاهراً باعتزاله،له تصانيف عديدة ، منها : الكشاف في التفسير والفائق في غريب الحديث، توفي سنة ثمان وثلاثين وخمس مئة،انظر : طبقات المفسرين(٢/٣١٤- ٣١٦).

(٢) انظر: الكشاف للزمخشري،بيروت: دار المعرفة ، (١/٣٤٢)، بدون رقم طبعة وسنة نشر.

(٣) معجم لغة الفقهاء، (ص٤٠).

(٤) مختار الصحاح، (ص٢٠٩) ، مادة "دلل"، ولسان العرب (٤/٣٩٤)، مادة "دلل" .

(٥) المصباح المنير، (ص٧٦) ، مادة "دلل" .

(٦) انظر: المعجم الوسيط (ص٢٩٤)، مادة "دل"، وأساس البلاغة، (ص ٣١)، مادة "دلل" .

(٧) معجم فقهاء اللغة ، (ص٤٠) .

(٨) انظر: التعريفات للجرجاني، (ص٣٤).

والاستدلال: طلب الدليل، ويطلق في العُرف على إقامة الدليل مطلقاً من نص، أو إجماع، أو غيرهما، وقيل: هو في عرف أهل العلم تقرير الدليل لإثبات المدلول(١).

يقول الشيخ عبد الله بن حميد ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: "ما نشأت البدع إلا بسبب اتباع الهوى، فمثلاً: التلفظ بالنية، وقولهم: نويت أن أصلي لله. يرى أصحاب هذا الرأي أنه دين وخير، وأنه تلفظ باللسان؛ لأجل أن يطابق القلب؛ لأن النية محلها القلب، فنقول لهم: هذه بدعة. والرسول ﷺ يقول: "**لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ**"(٢) ... فبالله عليك أعطني ما جاء به الرسول ﷺ في هذه المسألة؛ حتى أتبعه، فإنه لا يستطيع أبداً أن يعطيك حرفاً واحداً عن الرسول ﷺ، ولا عن أصحابه شيئاً، ولا عن أحدٍ من التابعين أنه كان يتلفظ بالنية، إنَّما يأتيك بأقيسة وتعليلات، لا أقلَّ ولا أكثر، فمن ثَمَّ صار متبعاً لهواه(٣).

فهذا مثال من أمثلة كثيرة دالة على إنكار الشيخ عبد الله بن حميد ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ لاتباع الهوى، والتقيُّد بمناهج غير سوية وغير صالحة؛ فهي جالبة لكل شر وفتنة، ويتبين هذا الأمر بجلاء في مباحث هذا الفصل إن شاء الله تَعَالَى.

---

(١) الكليات، لأبي البقاء الكفوي(ص: ١١٤).

(٢) أخرجه البغوي في شرح السنة (١/٢١٣) وصححه النووي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في الأربعين النووية، وضعفه ابن رجب في شرح الأربعين المسمى بجامع العلوم والحكم (ص٤٦٠ وما بعدها)، وذكره الحكيم (٤/١٦٤)، وأخرجه الخطيب (٤/٣٦٨)، وابن أبي عاصم (١/١٢، رقم ١٥) ،قال الألباني ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: سنده ضعيف المشكاة (رقم ١٦٧)، وقال الشيخ ابن عثيمين ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في شرحه: صححه النووي وغيره، وضعفه جماعة من أهل العلم، منهم ابن رجب في كتابه "جامع العلوم والحكم"، ولكن معناه صحيح.

(٣) شرح كتاب التوحيد (ص: ٩٢ـ٩٣)، من تفريغ الباحثة، تحت الطباعة.

المبحث الأول :

تقديم النقل على العقل :

من أهم قواعد وأصول السلف في الاستدلال[١] :

١. التسليم المطلق لنصوص الكتاب والسنة

٢. الاحتجاج بكل صحيح من الحديث سواء كان آحادا، أو متواترا، أو مشهورا[٢] .

٣. اعتبار أقاويل الصحابة، وإجماعهم، وإجماع السلف الصالح ـ حجة لا يجوز الحيدة عنها، ولا الميل إلى غيرها حين الاحتجاج أو الاستدلال[٣]

٤. ترك ضعيف الحديث في الاحتجاج.

٥. ترك مذاهب المبتدعة في الاحتجاج[٤].

٦. وضع العقل في موضعه الصحيح من الاحتجاج[٥].

ومن أبرز صفات المنهج السلفي في الاستدلال تقديم النقل[٦] (النص الشرعي المأخوذ من الكتاب والسنة الصحيحة) على العقل (الأدلة العقلية المأخوذة من

---

(١) يقول الشاطبي في الاعتصام: "إن الشريعة بينت أن حكم الله على العباد لا يكون إلا بما شرع في دينه على ألسنة أنبيائه ورسله"، فالعقل وإن كان شرعاً مناط التكليف، إلا أن الإسلام لم يجعل له دوراً في تشريع الحلال والحرام أو تحديد الواجبات الدينية والمنهيات الشرعية. انظر : الاعتصام (ج٢، ص٤٥).

(٢) انظر : رسالة الشافعي : تثبيت خبر الواحد، وهي في كتابه الأم، وأفردت بالنشر ، ورسالة الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ : حديث الآحاد حجة بنفسه في العقائد والأحكام، ورسائل كثيرة في العمل بحديث الآحاد.

(٣) انظر: النبوات (١ / ٨٤)، دقائق التفسير (٢ /٢٢٢)، مفتاح دار السعادة (٢/ ٢١٧).

(٤) اعتقاد أهل السنة (٤ / ٦٥٦).

(٥) انظر: مسالك أهل السنة فيما أشكل من نصوص العقيدة د. عبد الرزاق معاش ط/دار ابن القيم. وكذلك منهج المتكلمين في الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة د. سليمان الغصن ط/دار العاصمة ، الرياض وكذلك منهج علماء الحديث في أصول الدين (ص١٨٣ : ١٩٥).

(٦) وإن كان أحدهما قطعياً والآخر ظنياً تعيَّن تقديم القطعي ، وإن كانا جميعاً ظنيين صرنا إلى الترجيح ، ووجب تقديم الراجح منهما.انظر: الصواعق المرسلة (ص٣ ،ص٧٩٧).

الفلاسفة والمتكلمين)[١]، فإن القياسات وتحكم العقول في مسائل غيبية لا نعلم عنها شيئاً إلا ما جاءنا من أخبار، فيجب التعامل معها بموجب هذه الأخبار، دون التسلط عليها، وتقديم العقول عليها، فهذا الذي يحذر منه الشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ يقول:

" لا نسمح للعقل في أن هذه عبادة، أو إنها ليست بعبادة، العقل معزول عن أن يقول: هذا عبادة، أو غير عبادة، العبادة تتلقى من الشارع ﷺ لا غير، وإيضاح ذلك: ما أمر به شرعاً من غير اقتضاء عرفي، لو قال لنا شخص مثلاً: نويت أن أصلي لله أربع ركعات صلاة العشاء فرضاً خلف هذا الإمام. قلنا لك: يا أخي هذا بدعة، ولا يجوز. يقول: هذا متعارف عليه بين المسلمين جيلاً بعد جيل، وقرناً بعد قرن، وأمةً بعد أمة، ولم ينكره أحد، ولم يرده أحد، بل هو موجود في كتب المتأخرين، كيف تقول بدعة؟ نقول لك: قول عرف وجرى، لا دخل له في شرعية العبادة؛ ولهذا نقول: العبادة ما أمر به شرعاً، فأنت أخبرني[٢]: هل أمر بهذا التلفظ شرعاً؟ أبداً لا يستطيع، لو بقي عمر نوح يفتش، هل يجد أن الرسول ﷺ تلفظ بالنية، فإنه لا يجد أبداً، لا في حديث صحيح، ولا ضعيف، ولا موضوع. وكذلك لا يمكن أن يجد من الصحابة ولا من التابعين أبداً. فبهذا نعرف أنه بدعة، في حين أن القرآن يبطل هذا، كيف يبطل هذا، ما هو الدليل على أن التلفظ بالنية بدعة؟ مثلاً يقال: بأنه لم ينقل عن الرسول ﷺ ولا عن أحد من أصحابه، لكن مع هذا كله نقول: نجد في القرآن ما يبطله، فما هو دلالة بطلانه من القرآن؟ قوله ﷻ : [

(١) ولا يعني تقديم السلف للنقل على العقل، واقتصارهم في الاستدلال على الكتاب والسنة، أنهم ينكرون دور العقل في التوصل إلى الحقائق والمعارف، أو أنهم لا يستعملون الفكر والنظر في الآيات الكونية. ولكن ذلك يعني أنهم لا يسلكون مسلك المتكلمين في الاستدلال بالعقل وحده في المسائل العقائدية والغيبية، وتقديمه على كلام الله، أو تقديمه على السنة النبوية.

(٢) شرح كتاب التوحيد باب قول الله ﷻ : [o qp r s t u w x y z Z.

k l Z[1] أولاً: هل الصلاة دين؟ قلنا: نعم، كيف أنه دين؟ أنكر عليك الرب قال ﷻ:] قُلۡ أَتُعَلِّمُونَ ´ µ Z تقول: نويت أن أصلي لله، أتعلمه بهذا؟ فالله ﷻ يقول:] قُلۡ أَتُعَلِّمُونَ ´ µ ¶ ¸ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ Z[2] هذا معنى ما أمر به شرعاً من غير اطِّراد عرفي"[3].

(١) سورة البقرة، (آية: ٤٣).

(٢) سورة الحجرات، (آية: ١٦).

(٣) شرح كتاب التوحيد باب قول الله ﷻ: [o qp r s t u w x y z Z.

المبحث الثاني

رد كل قول خالف الكتاب والسنة

كان من منهجية الشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ في الاستدلال ردُّ كل ما خالف الكتاب والسنة في العقائد أو الأعمال، والحملُ الشديد على من عمل بخلاف ما جاء في الكتاب والسنة من العقائد والأعمال.

فهذا دال على كمال التأدب مع شريعة الله المطهرة، وتقدير أوامر الله ـ عز وجل ـ حق التقدير والإجلال، وهذه المنهجية كانت واضحة في ردود الشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ ، وفي دعوته لنبذ كل العلائق التي تخالف ما جاء في الوحيين.

ومما يؤيد ما نقوله في هذا المبحث كلام الشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ في التحذير من اتباع الهوى، وسلوك الطريق المخالف لهدي السلف رحمهم الله، ومن المعلوم لأهل العلم السابق والحاضر أن كل ما خالف كتاب الله عز وجل وسنة النبي ﷺ، فهو اتباع للهوى؛ يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ :

فساد الدين إما أن يقع بالاعتقاد الباطل، أو يقع بخلاف الحق والصواب، فالأول: البدع، والثاني: اتباع الهوى، وهذان هما أصل كل شر وفتنة وبلاء، وبهما كُذِّبت الرسل، وعُصي الرب، ودُخلت النار، وحلَّت العقوبات، فالأول: من جهة الشبهات، والثاني: من جهة الشهوات، ولهذا كان السلف يقولون: احذرُوا من الناس صنفين: صاحب هوىً فتنه هواه، وصاحب دنيا أعجبته دنياه[1] .

ولا شك أن الشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ كان يستأنس بمثل هذه العبارات من ابن القيم وغيره، إذ كانت تُقْرأُ في مجلسه هذه الكتابات، فيقرر ما فيها من أقوال.

فلما كان الهوى أصل الشرور، فقد عالجه الشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ من أصله، وبهذا نستطيع أن نقول إن الشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ كان يرد كل قول يخالف الكتاب والسنة:

---

(١) إعلام الموقعين، لابن قيم الجوزية ـ رحمه الله ـ (ص١١٣).

قال الشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ :

"وقول النبي ﷺ : "**لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ**"[(١)]

الهوى هو : ما يحبه الإنسان ، ويميل إليه ، حقاً كان أو باطلاً. فالحديث نفى عنك واجباً من واجبات الإيمان إذا كان هواك مخالفاً لما جاء به الرسول ﷺ ، أما إن كان هواك ، وميلك ، ومحبتك ، وديدنك ـ أن تتبع ما جاء به الرسول ﷺ ، وتنتهي عما نهى عنه الرسول ﷺ ، من غير ميلٍ لما تحب ، بل هذا محبوبك ومطلوبك ، وهذا هو تجاهك وميلك ، إذاً تمَّ في حقك كمال الإيمان ، أما إذا كان عندك شيءٌ من الميل إلى ما يسخط الله ﷻ ـ وإن كنت تعتقد تحريمه ، ولكنك فعلته ـ فقد نقص إيمانك ؛ لأن الواجب عليك ترك هذا. نقص إيمانك بقدر مخالفتك ؛ حيث لم ينطبق هواك وما جاء به الرسول ﷺ فيما فعلت. فهذا هو معنى الحديث ، أما من كان هواه تابعاً لما جاء به الرسول ﷺ ؛ تطلب الحق مهما كان : لك أو عليك ، مالك من همٍّ ولا قصدٍ ولا غرض ، ولا ميل ـ إلا معرفة ما جاء به الرسول ﷺ ـ ؛ لتعمل به ، ولتنتهي وتبتعد عما نهاك عنه ، وهذا هو الإيمان الكامل المؤدي للواجبات ، وأما ما كان بالعكس فلا".

وما جاء به الرسول ﷺ يكون القلب ممتلئاً من محبته ، والميل إليه. مثل ما تقدم في حديث أنس : « **لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ ، وَوَلَدِهِ ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ** »[(٢)]، ومعنى حتى أكون أحبَّ إليه : يعني محباً لسنته واتباع أمره ، والابتعاد عما نهى عنه ، فهذا أوثق عرى الإيمان : الحبُّ في الله ، والبغض في الله ، والموالاة في الله ، والمعاداة فيه ، وهذا كله مصدره القلب ، والجوارح تعمل أو تترك ، وهي التي

---

(١) سبق تخريجه في (ص١٠٨).

(٢) أخرجه البخاري(١/١٤برقم ١٥)، ومسلم (١/٦٧ برقم ٤٤).

تدلُّ على ما في القلب، وهذا هو معنى حديث: "**لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ**"[١].

---

(١) شرح كتاب التوحيد، باب: ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبل ...، تحت الطباعة، وقد سبق تخريج الحديث(ص١٠٠).

المبحث الثالث

إعراضه عن الكلام الجدلي

لم يكن الشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ يحب الجدل في مسائل العقيدة ، ولو كان بقصد الدفاع عنها ؛ لأنه كان يرى أن الجدال الذي لا طائل من ورائه لا يفيد ، ولا يؤثر إلا في قسوة القلوب ، وإيغار الصدور، وليس من هدي النبي ﷺ ولا أصحابه، ولا تابعيهم بإحسان.

يقول الشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ [١] :

"تجدُ أكثر الناس الآن تنوعت آراؤهم، واختلفت طرقهم: هذا بعثي، هذا إلحادي، هذا شيوعي، هذا تيجاني، هذا نقشبندي[٢]. ألم نكتف بالقرآن والسنة عن هذا كله؟، ونسلك مسلك سلفنا الصالح، فما درج عليه أصحاب رسول الله ﷺ، فالله ﷻ يقول:] J K L M N Z[٣]، وهذا مدلول القرآن والسنة،] P Q R Z أي: الشبه والشهوات] S T U V Z وهي طريقة فلان: شاذلية، تيجانية، إلحادية، شيوعية، بعثية، ماسونية، بهائية، إلى غير ذلك من هذه الطرق] I J K L M N O P Q R Z[٤] بل هو طريق واحد، وهو الذي يوصل إلى الله ﷻ، وغيرها من هذه الطرق لا شيء، بل هي كلها شر وبلاء، فالطريق الموصل إلى الله ﷻ هو ما جاءنا به رسول الله ﷺ] J K L M N P Q R S T U V X Y Z [

(١) شرح كتاب التوحيد، باب : ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبل ....

(٢) نسبةً إلى الطريقة النقشبندية التي تنتهي إلى خواجة بهاء الدين النقشبندي . انظر : الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ، طاشكبري زادة ، دار النشر : دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م (ج ١ ، ص ١٥٤).

(٣) سورة الأنعام (الآية : ١٥٣) .

(٤) سورة الأنعام (الآية : ١٥٩) .

\ Z[1]، ومن المعلوم سبب ظهور هذه الطرق والأحزاب والجدال، وعدم الفهم الصحيح للإسلام".

فتركُ الكتاب، والسنة والتمسك بآراء الرجال ـ جالب لكل شرـ فأتباع الفرق والأحزاب إنما اتَّبعوا أقوال المجادلين الذين يصورون للناس أن الحق معهم، ويستدلون بنصوص من الكتاب والسنة، ويجادلون غيرهم بها...، وإلا فالحق واضح.

(١) سورة الأنعام (الآية : ١٥٣).

المبحث الرابع
موقفه من التقليد في الاعتقاد

التقليد في اللغة[١] : وضع الشيء في العنق محيطًا به، ومنه تقليد الهدي، ويسمى الشيء المحيط بالعنق "قلادة"، والجمع : "قلائد". قال الله - ﷻ - : "M ~ الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ L"[٢] ، ومنه قوله ـ ﷺ ـ في الخيل : " **لا تقلدوها الأوتار**"[٣].

أما تعريف التقليد اصطلاحًا، فإن للأصوليين في تعريفه عبارات مختلفة، إلا أن أكثرها متقاربة المعنى، وقد اخترت ثلاثةً من هذه التعاريف، وأرجعت إليها بقية التعاريف.

المعنى الأول : أن التقليد : قبول قول القائل وأنت لا تعلم من أين قاله، (أي لا تعرف مأخذه)[٤].

المعنى الثاني : قبول قول الغير بلا حجة[٥].

الثالث : اتباع قول من ليس قوله حجة[٦] .

وعرفه الغزالي في المستصفى بأنه : " قبول قول بلا حجة ".

---

(١) انظر : (لسان العرب) (٣/٣٦٧) ، (مختار الصحاح) (٥٤٨) ، و(البحر المحيط) للزركشي (٦ / ٢٧٠) ، و(الأحكام في أصول الأحكام) للآمدي (٤/ ٢٢١) ، و(إرشاد الفحول) للشوكاني (٢٦٥) ، ((مختصر حصول المأمول من علم الأصول)) لصديق حسن خان، (١١٨) ، ((شرح الورقات)) عبدالله بن صالح الفوزان (١٧٠) وغيرها .

(٢) سورة المائدة (من آية : ٢) .

(٣) السيوطي في الفتح الكبير(٢/١٠٢) ،تحقيق يوسف النبهاني ، (١٤٢٣هـ /٢٠٠٣م) ، ط١ ، دار الفكر، بيروت ، والسيوطي في جامع الأحاديث (الجامع الصغير وزوائده والجامع الكبير)، وغريب الحديث لابن الجوزي(٢/٢٦١) .

(٤) انظر : البحر المحيط(٦/٢٧٠) ، وإرشاد الفحول (٢٦٥)..

(٥) ذكره ابن حزم في الأحكام (٢/٨٣٦)، وابن تيمية (٢/١٦، ١٥)، والآمدي (٤/٢٢١) ، والبحر المحيط(٦/٢٧٠)، وشرح الورقات للفوزان (ص١٧١) .

(٦) جامع بيان العلم وفضله (٢/١١٧) ، وإرشاد الفحول(٢٦٥)..

وعرفه ابن قدامة[١] في روضة الناظر بأنه: " قبول قول الغير من غير حجة " .

وعرفه عبد المؤمن بن كمال الدين الحنبلي في قواعد الأصول بأنه: " قبول قول الغير بلا حجة " .

وعرفه إمام الحرمين في الورقات بأنه: " قبول قول القائل بلا حجة"

وقد اختلف الأئمة والعلماء في مسألة التقليد في العقائد، فذهب كثير من الأصوليين والمتكلمين إلى تحريم التقليد، وذهب كثير من الفقهاء من الحنابلة والظاهرية وغيرهم إلى جواز ذلك[٢].

وقد قال الشافعي ـ رحمه الله ـ: "أجمع العلماء على أن كل من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها؛ لقول أحدٍ من الناس كائناً من كان[٣]".

والإمام مالك ـ رحمه الله ـ يقول: ما مِنَّا إلا رادٌّ ومردود عليه إلا صاحب هذا القبر ـ يعني: رسول الله ﷺ ـ[٤]، ويقول: لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما صلح به أولها، وهو الكتاب والسنة، والإمام الشافعي يقول: إذا صَحَّ الْحَدِيثُ فَهُوَ مَذْهَبِي، وَاضْرِبُوا بِقَوْلِي عُرْضَ الْحَائِطِ،[٥] وإذا صح عن الصحابة، فخذوا به، واضربوا بقولي عرضَ الحائط بعد قوله؛ تقديماً لكتاب الله ﷻ، وسنة رسوله ﷺ، وأقوال الصحابة، فإذا كان عن التابعين، فيقول: "هم رجال، ونحن رجال"[٦].

---

(١) الشيخ الإمام القدوة العلامة المجتهد شيخ الإسلام موفق الدين أبو محمد عبد الله بن **أحمد بن محمد بن قدامة** بن مقدام بن نصر المقدسي الجماعيلي، ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي، صاحب " المغني ". مولده بجماعيل من عمل نابلس سنة إحدى وأربعين وخمس مئة في شعبان. كان عالم أهل الشام في زمانه. انتقل إلى رحمة الله يوم السبت يوم الفطر، ودفن من الغد سنة عشرين وست مئة. سير أعلام النبلاء (١٦٥/٢٢)، معجم البلدان: (٢ / ١١٣ ـ ١١٤)، وشذرات الذهب (٥ / ٨٨ ـ ٩٢)

(٢) نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف لمحمد بن عبدالله بن علي الوهيبي (٣٩/٢).

(٣) ابن القيم ، إعلام الموقعين(٧/١)، ومدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين(٣٣٥/٢)، والرسالة التبوكية زاد المهاجر إلى ربه(٣٧/١)، والاتباع لصدر الدين ابن أبي العز الحنفي(٢٤/١).

(٤) المقاصد الحسنة (٥١٣/١)، الآداب الشرعية (١٩٠/٣).

(٥) تحفة الأحوذي (٤٥٦/١)، ومرقاة المفاتيح (٦٨/١).

(٦) شرح كتاب التوحيد. للشيخ عبدالله بن حميد ـ رحمه الله ـ، تحت الطباعة.

ولهذا أجمع العلماء أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ ، لم يحل له أن يعدل عنها لقول أحد ، كائناً من كان[١] .

فمتى يجوز للعامي التقليد عند الشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ ؟

يقول الشيخ ـ رحمه الله ـ مبيناً ذلك : "التقليد لابد منه ، العامي لا يستطيع استخراج الأدلة ، ما له إلا التقليد ، لا يستطيع الإلمام بالأدلة ، ولا قدرة له ، ما دام ما عنده قدرة ، يتعين عليه أن يسأل من يعتقده أوثق في العلم والدين ، إذا كان هذا العامي ، ما هو من أهل العلم"[٢] .

أما المقلدون فإنهم يوجبون أن يكون إمامُهم هو المتبع ، فهذا القاضي عياض يقول : يجب على كل إنسان أن يُقلد مالكاً ، ونقول : لمَ يقلدُ مالكاً؟ وما الدليل على تقليد مالك؟ فظاهر قوله أن من لم يقلد مالكاً فقد أثم ، والإمام مالك نفسه تبرأ من هذا ، فلمَّا جاء رجل قال : إن أهل مصر من أعلم الناس بالبيع والشراء ، فقال : ومن أين تعلموه؟ قال تعلموه من الإمام مالك ، فقال : أنا لا أحسن البيع والشراء ، أي : كيف يتعلمون مني شيئاً لا أعرفه؟ [٣] فهذه جزئية من أقوال الشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ في المسائل العملية ، فكيف بالمسائل العقدية ! !

وبهذا يتضح موقف الشيخ ـ رحمه الله ـ من التقليد حيث إن التقليد عنده ـ رحمه الله ـ لابد منه عند العامي الذي لا يستطيع استخراج الأدلة ، ويتعين عليه أن يسأل أهل العلم ، أما عن التقليد في الاعتقاد فإن الشيخ ـ رحمه الله ـ قد اعترض على مقولة يجب على كل إنسان أن يُقلد مالكاً ، مما يدل على تحريمه للتقليد في الاعتقاد إلا بدليل وبرهان.

---

(١) بهجة قلوب الأبرار ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي(ت ١٣٧٦هـ).

(٢) شرح كتاب التوحيد. للشيخ عبدالله بن حميد ـ رحمه الله ـ ، باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله ، تحت الطباعة.

(٣) المرجع السابق ، تحت الطباعة..

الفصل الثالث

سمات منهج الشيخ -رحمه الله- في تقرير العقيدة :

أولاً : السمات المعنوية.

ثانياً : السمات الحسية.

تمهيد:

السمات جمع سمة، والسمة العلامة، وفيها لغتان: المد والقصر[١].

والمراد بالسمات هنا: العلامات التي تميز بها الشيخ - رحمه الله - في حياته العلمية، وذلك في تقرير العقيدة وغيرها.

أما المنهج فهو لغةً: المذهب، والمنهاج: الطريق الواضح، ونهج الطريق: أبانه، وأوضحه، ونهجه أيضاً: سلكه[٢].

والتعريف الاصطلاحي لا يختلف عن اللغوي؛ يقول القرطبي - رحمه الله -:

المنهاج: الطريق المستمر، وهو النهج والمنهاج.

قال ابن عباس رضي الله عنه: شرعة ومنهاجاً: سنة وسبيلاً[٣].

وقيل: المنهاج: الطريق الواضح[٤].

فيتبين من التعريفين أن المراد بمنهج الشيخ: الطريق الذي سلكه الشيخ - رحمه الله - في دعوته إلى الله عز وجل، ومنها تقرير مسائل الاعتقاد.

فنقول في سمات منهج الشيخ - رحمه الله -: علامات طريقة الشيخ - رحمه الله - التي ارتضاها لنفسه في تقرير مسائل الاعتقاد.

والمتتبع لحياة الشيخ - رحمه الله - العلمية، سواء كانت في المؤلفات، أو الرسائل، أو المسموعات من أشرطة، وغيرها، يستخلص منها المنهجية الواضحة في التقرير لمسائل الاعتقاد.

ولما كانت معرفة منهجية الشيخ في تقرير مسائل الاعتقاد ينبنى عليها لُب البحث، كان الكلام عن هذه المنهجية هامًا جداً؛ إذ هو بمثابة الضوء الذي نسير على هديه لمعرفة ما نريد الوصول إليه.

ولا شك أن الشيخ - رحمه الله - سار سير أئمة الدعوة: في سلوك المنهج الواضح

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٦/٢٤٨).

(٢) مختار الصحاح للرازي (ص: ٦٨١) مادة: ت.هـ.ج.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦/١٩٩).

(٤) الكليات (ص ٥٢٤).

المدعم بالأدلة، بعيداً عن تحكيم العقل والفلسفة، والتنطع والشطط، فمسائل الاعتقاد مردها إلى كتاب الله ﷻ، وسنة النبي ﷺ، وما أجمع عليه الأئمة، خاصة الصدر الأول الذين تحملوا أعباء الدعوة.

وكان الشيخ عبدالله بن حميد - رحمه الله - ثمرة من ثمرات هذه الدعوة المباركة، وكان من أكبر العرفان، وشكر الجميل - أن يسير الشيخ على سيرتهم، ويجعلهم له قدوة يقتدي بهم فيما كان صواباً على أصل من الأصول.

فحياة الشيخ - رحمه الله - الدعوية كانت حافلة بكثير من المسائل، ومن ضمنها تقرير العقيدة السليمة، والدعوة إلى الإخلاص، والتمسك بالدين ظاهراً وباطناً، وتجريد المتابعة. وأيضاً تقوم على الإعداد العلمي والنفسي لدعاة المستقبل، مع مراعاة الروابط الطيبة بين علماء هذه البلاد مع ولاة أمورهم، والنصيحة والدعاء لهم، وذلك وفق منهج أهل السنة والجماعة في هذا المجال.

وقد استعمل الشيخ - رحمه الله - نفوذه، ومكانته عند العلماء، وولاة الأمور في الدعوة إلى الله - ﷻ -، بل نستطيع أن نقول إن الشيخ - رحمه الله - كان يبذل كل لحظة من حياته في سبيل الدعوة، فهذه هي حياة السلف، حياتهم لله؛ متمثلين في ذلك قول الله ﷻ:

﴿**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[1].

(١) سورة الأنعام، (آية: ١٦٢).

المبحث الأول
السمات المعنوية

وفيه :

الإخلاص.

التطبيق العملي للعلم.

التحلي بالأخلاق الإسلامية.

المبحث الأول

المراد بالسمات المعنوية

للوقوف على معنى السمات المعنوية، وما المراد بها في هذا المطلب لا بد من التعريف اللغوي:

السمات سبق تعريفها [١]، وهي العلامات.

وأما المعنوية، فأصلها المعاني المتصورة في عقول الناس، المتصلة بخواطرهم، خفية بعيدة، لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه [٢].

والمعنى كما في التعريفات:

هو الذي لا يكون للسان فيه حظ، وإنما هو معنى يعرف بالقلب [٣].

وسأذكر في هذا المبحث ومطالبه - إن شاء الله - السمات المعنوية لمنهج الشيخ - رحمه الله - في حياته الدعوية عامة، ومنها تقريره لمسائل الاعتقاد.

فالسمات المعنوية هي المستقرة في القلب، وتظهر آثارها في الجوارح، وإن لم ينطق بها صاحبها، ولها أثر عظيم واضح في دفع الدعوة.

وفهم الشيخ - رحمه الله - موقع أعمال القلوب في التأثير في الدعوة عموماً، والدعوة عبادة لا يقبلها الله عز وجل إلا إذا كانت خالصة له سبحانه، وقد حقق علماء الأمة الربانيون حققوا هذا الغرض، فكتب الله لهم القبول في الأرض.

---

(١) سبق تعريفها (ص ١٢١).

(٢) جواهر البلاغة للجوهري(ص: ٣٧).

(٣) التعريفات للجرجاني(ص: ٢٨٥).

السمة الأولى

١- الإخــلاص

الإخلاص لغةً:

الخاء واللام والصاد أصل واحد مطَّرِد، وهو تنقيةُ الشَّيء وتهذيبُه.[(١)]

أصله: خلص خلوصا، وخالصة: صار خالصاً، وإليه خلوصاً: وصل.

والخالص: كل شيء أبيض [(٢)].

وأخلص لله: تَرَكَ الرياء، واستخلصه لنفسه: استحضه [(٣)].

وقيل: الخالص كالصافي، إلا أن الخالص هو ما زال عنه شوبه بعد أن كان فيه، والصافي: قد يقال لما لا شوب فيه، ويقال: خلصته، فخلص، والإخلاص: التبري عن كل ما دون الله سبحانه وتعالى [(٤)].

وفي الاصطلاح: هو القصد بالعبادة إلى أن يعبد المعبود بها وحده، وقيل: تصفية السِّر والقول والعمل [(٥)].

قال الجرجاني: الإخلاص: تخليص القلب عن شائبة الشوب المكدر لصفاته، وتحقيقه: أن كل شيء يتصور أن يشوبه غيره، فإذا صفا عن شوبه، وخلص عنه: يسمى خالصاً، ويسمى الفعل المخلص إخلاصاً.

وقيل: الإخلاص: تصفية الأعمال من الكدورات.

وقيل: الإخلاص: ستر بين العبد وبين الله عز وجل، لا يعلمه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده، ولا هوى فيميله [(٦)].

وقد ذكر الشيخ -رحمه الله- في شرحه لخطبة حجة الوداع معنى الإخلاص، فقال:

---

(١) مقاييس اللغة (٢/١٦٨).

(٢) القاموس المحيط(ص٥٧).

(٣) مختار الصحاح (ص١٨٤).

(٤) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني(ص١٦١).

(٥) الكليات (ص٦٤).

(٦) التعريفات للجرجاني، (ص ٢٨).

إخلاص العمل لله : فالعمل لا يقبل إلا إذا كان خالصاً لله نقيا مما يشوبه ، قصد به وجه الله ﷻ [١] .

هكذا يعرفه الشيخ - رَحِمَهُ اللَّهُ - ، ويقول في نفس الموضع :

"فالعمل لا يقبل إلا إذا انبني على أصلين :

الأول : تجريد الإخلاص لله ، وهو معنى قوله ﷺ : «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّات**»[٢] .

الثاني : تجريد المتابعة للرسول ﷺ ، وهو معنى قوله ﷺ : «**مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا ، فَهْوَ رَدٌّ**» [٣] "[٤] .

فللإخلاص مكانة عظيمة في دين الإسلام ، وهو من علامات العظماء الأتقياء ؛ يقول ابن القيم - رَحِمَهُ اللَّهُ - :-

قال الله ﷻ : M h i j k l m n o L [٥] .

وقال ﷻ : M K L M N O P Q R S T V W X Y L [٦] ، وقال ﷻ لنبيه ﷺ : M ; < = > ? @ B C D E F L [٧] ، وقال ﷻ له : M قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي © رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ ´ µ ¶ L [٨] .

وقال ﷻ : M + , - . / 0 1 2 L [٩] قال الفضيل بن عياض : هو أخلصه وأصوبه ، قالوا : يا أبا علي ، ما أخلصه وأصوبه؟ فقال : إن العمل إذا كان خالصاً ، ولم يكن صواباً ، لم يقبل ، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً ، لم يقبل ، حتى

(١) انظر : الإبداع شرح خطب حجة الوداع (ص : ٥٣).

(٢) أخرجه البخاري (١/٣ برقم ١)

(٣) أخرجه البخاري (٢٦٧٥/١ برقم ٦٩١٧) ، ومسلم(١٣٤٣/٣ برقم ١٧١٨)

(٤) انظر : الإبداع شرح خطب حجة الوداع(ص : ٥٤).

(٥) سورة البينة (آية : ٥) .

(٦) سورة الزمر (آية : ٢ - ٣).

(٧) سورة الزمر (آية : ١٤ - ١٥).

(٨) سورة الأنعام (آية : ١٦٢ - ١٦٣).

(٩) سورة الملك (آية : ٢).

يكون خالصاً صواباً، والخالص: أن يكون لله، والصواب: أن يكون على السنة، ثم قرأ قوله ﷻ: M â كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ ç è é ê ë بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦ Î L[١][٢].

وللشيخ – رَحِمَهُ اللهُ – في دروسه، وخطبه، ونصائحه ــ إشارات، ووقفات مع الإخلاص، فمن ذلك:

قوله – رَحِمَهُ اللهُ –:[٣] "فإذا كانت نية العبد صالحة، وقصد بعمله وجه الله ﷻ، فالله ﷻ يثيبه، ويعظم له الأجر، وإن كانت نيته لم تكن لله، بل لعمل آخر، فهو وما نوى، وعمله مردود عليه".

فالعبادات كلها مبنية على أصلين: الأصل الأول: تجريد الإخلاص لله، وهو معنى قوله ﷺ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّات**»[٤].

والثاني: تجريد المتابعة لرسول ﷺ، وهو معنى قوله ﷺ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا، فَهْوَ رَدٌّ**»[٥]. ها أنت صمت رمضان في هذه البلاد المباركة التي هي أشرف بقعة على وجه الأرض، وها أنت أديت العمرة، وها أنت تلوت القرآن، وتصدقت، وعملت من الأعمال الصالحة، لكن انظر [إلى] نيتك، هل عملك قصدت به وجه الله ﷻ، هل تقربت به إليه، فالله ﷻ يثيبك، واسأل ربك حسن الخاتمة، فإن الأعمال بالخواتيم. أو أن قصدك، ليقال هو معتمر، هو صام في مكة، هو رجل يتصدق، هو رجل يحب الخير، من أجل أن تنطلق ألسنة الناس ثناءً عليك، ومدحاً لك. فإن كانت هذه نيتك، فعملك مردود عليك، فالله ﷻ لا يقبل مثل هذا العمل، بل جاء في الحديث القدسي: «**أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»[٦]، ها أنت قد أدرت وجهك

---

(١) سورة الكهف (آية: ١١٠).

(٢) مدارج السالكين لابن القيم(٢/٩٣).

(٣) في بداية الدرس انقطاع لم يظهر في التسجيل.

(٤) سبق تخريجه (ص١٢٦).

(٥) سبق تخريجه (ص١٢٦) .

(٦) أخرجه مسلم، (٤/٢٢٨٩ برقم: ٢٩٨٥).

إلى بلادك، وجعلت كثيراً ما تسأل عن طواف الوداع، تقول: هل علي وداع؟ وهل أوادع قبل صلاة العيد؟ والبعض يقول: أوادع متى؟

فانظر هل قبل الله منك هذا العمل؟ أم رجعت كما جئت؟ هذا هو المهم، هل قبل الله منك العمل، أم رجعت كما جئت؟ يا للخسارة، يا ويل إن كنت رجعت كما جئت، ولم يقبل منك من هذه الأعمال شيئاً، ويا تجارة ويا ربحاً عظيماً إن كان الله قد تقبل منك، ولو ركعتين تكون سبباً لمغفرة ذنوبك، وعتق رقبتك من النار.

فقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: **«الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلاَّ الْجَنَّةُ»**[١] ما علامة الحج المبرور؟ علامته كما قال الحسن: إذا رجعت إلى بلادك، هل أنت على حالة أحسن منك قبل أن تحج؟ فنعم. هذا هو الحج المبرور، وهي العمرة المتقبلة، فإن رجعت إلى بلدك، وأنت على حالتك السابقة، لم تتغير أخلاقك، ولا سلوكك، ولا مبادرتك إلى المسجد، بل أنت كما كنت، ولم تؤثر فيك تلك العبادة، ولم يؤثر فيك هذا المقام في هذا المكان، فهذا دليل على عدم القبول، هذا معنى ما يقوله الحسن البصري - رحمه الله - ، فكل منا يفتش نفسه، وينظر إلى عمله، وينظر إلى حالته، هل تأثر بهذه العمرة، وبهذه العبادة؟ فصلحت أخلاقه، واستقامت أحواله. أم هو كما كان، أو أردى (أي: أحط رتبة مما كان عليه). هذه هي العلامة كما قاله بعض السلف.

هذا ونرجو الله ﷻ لنا ولكم القبول، وأن يعيد هذا الشهر علينا وعليكم، وعلى المسلمين سنين عديدة، ممتعين بالصحة والعافية، وموفقين لما يرضي الله؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على محمد، وعلى آله وصحبه وسلم[٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٩/٢ برقم١٦٨٣)، ومسلم، (٩٨٣/٢، برقم ١٣٤٩).

(٢) دروس وفتاوى الشيخ عبد الله بن حميد - رحمه الله - (ص: ٩٧- ٩٨- ٩٩).

السمة الثانية

٢- التطبيق العملي للعلم

العلم ينفع صاحبه إذا عمل به، وإلا كان عليه حجة يوم القيامة، ومنهاج الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - العمل بالعلم، كما في قصة شعيب مع قومه، وذلك في قول الله ﷻ: M**وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ** L [1].

وقد تميز الشيخ عبدالله – رحمه الله – بالعمل بما علم، والشاهد على ذلك أحواله وأقواله.

يقول - رحمه الله - عز وجل: في قوله ﷻ: M ! . # $ % & .) ( ) *
+ , - . / 0 L [2].

"فحكم الرب – عز وجل – بالخسار على جميع الناس إلا من كان آتياً بهذه الأشياء الأربعة، وهي: الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر.

فدل ذلك على أن النجاة معلقة بمجموع هذه الأمور، وأنه كما يلزم المكلف تحصيل ما يخص نفسه، فكذلك يلزمه في غيره أمور منها: الدعوة إلى الدين، والنصيحة للمسلمين.

قال ابن القيم: وبيان ذلك: " أن المراتب أربع، وباستكمالها يحصل للشخص غاية كماله"[3]:

إحداها: معرفة الحق.

والثانية: عمله به.

والثالثة: تعليمه من لا يحسنه.

والرابعة: صبره على تعلمه، والعمل به، وتعليمه.

فذكر - عز وجل - المراتب الأربع في هذه السورة، وأقسم - ﷻ - في هذه السورة بـ(العصر) أن كل أحد في خسر: إلا الذين آمنوا، وهم الذين عرفوا الحق، وصدقوا به، فهذه مرتبة،

---

(١) سورة هود (الآية : ٨٨).

(٢) سورة العصر (الآية :١- ٣).

(٣) ابن القيم ، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (١/ ٥٦).

M + , L ، وهم الذين عملوا بما علموه من الحق، فهذه أخرى، M -
. L ، وصى به بعضهم بعضاً تعليماً وإرشاداً، فهذه مرتبة ثالثة، M / 0 L
، صبروا على الحق، ووصى بعضهم بعضاً بالصبر عليه والثبات، فهذه مرتبة رابعة. وهذا نهاية الكمال، فإن الكمال أن يكون الشخص كاملاً في نفسه، مكملاً لغيره، وكماله بإصلاح قوتيه: العلمية، والعملية. فصلاح القوة العلمية بالإيمان، وصلاح القوة العملية بعمل الصالحات، وتكميله غيره بتعليمه إياه، وصبره عليه، وتوصيته بالصبر على العلم والعمل.

وأما السنة: فقد رغب الرسول – ﷺ – أمته إلى الهدى، والدلالة على الخير، والنصح للمسلمين؛ كما في صحيح مسلم عن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري البدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ**»[1]. وفي صحيح مسلم أيضاً عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا. وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلاَلَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا**»[2].[3] أ.هـ.

---

(١) أخرجه مسلم، (٣/١٥٠٦، برقم: ١٨٩٣).

(٢) أخرجه مسلم، (٤/٢٠٦٠، برقم: ٢٦٧٤).

(٣) فتاوى سماحة الشيخ عبد الله بن حميد – رحمه الله – (ص: ٣١٦- ٣١٧).

السمة الثالثة

٣- التحلي بالأخلاق الإسلامية

تعريف الأخلاق لغةً واصطلاحاً:

الأخلاق لغةً: جمع خلق. والخلق: السجية. وفلان يتخلق بغير خلقه، أي يتكلفه [(١)].

وفي الاصطلاح:

الخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر، من غير حاجة إلى فكر وروية. فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً، سميت تلك الهيئة خلقاً حسناً، وإن كانت تصدر عنها الأفعال القبيحة، سميت الهيئة خلقاً سيئاً [(٢)].

وقد اعتنى علماء الأمة الإسلامية بعلم الأخلاق عناية بالغة، علماً وعملاً؛ حتى جعلوا سلوك وأخلاق كثير من العلماء دليلا على إخلاصه أو عدمه، وقد كثرت المؤلفات في هذا العلم، وتميز كثير من العلماء به، وتناقلت المؤلفات والمصنفات أقوالهم وعباراتهم في هذا الباب.

وقال ﷻ في صفة النبي ﷺ: M k l m n L [(٣)].

وفي السنة: قال ﷺ: «مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَيَبْغَضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ» [(٤)].

وقوله ﷺ: «مَا مِنْ شَيْءٍ يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ، وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الْخُلُقِ لَيَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةَ صَاحِبِ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ» [(٥)].

قال طاووس - رحمه الله -:

"إن هذه الأخلاق منائح يمنحها الله ﷻ من يشاء من عباده، فإذا أراد الله بعبد خيراً

---

(١) مختار الصحاح للرازي، (ص١٨٧)، ولسان العرب لابن منظور (١٠/٨٥).

(٢) إحياء علوم الدين للغزالي (١/٩١٤)

(٣) سورة القلم (آية: ٤).

(٤) أخرجه الترمذي، (٤/٣٦٢ برقم: ٢٠١٤٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٥٦٣٢).

(٥) أخرجه الترمذي، (٤/٣٦٣ برقم: ٢٠٠٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٥٧٢٦).

منحه خلقاً صالحاً"[١].

أما علمُنا الشيخ عبد الله بن حميد - رحمه الله - فالذين عرفوا الشيخ عن قرب ينقلون عنه مواقف حميدة، تدل على ما كان يتمتع به الشيخ - رحمه الله - من أخلاق. يقول عنه ابنه الشيخ الدكتور صالح:

"كان ذا هيبة ووقار، هادئ الشخصية، طويل التفكير، فيه أناة وحلم متميز، كما كان على جانب عظيم من الأخلاق الكريمة، والصفات الحميدة، والمناقب الفاضلة، وكان يكره ألفاظ التفخيم، وأسماء التعظيم، ويمقت من يناديه بها، أو ينادي غيره. بل لقد كان يعقب على المتلفظ بها، ولو كان ذلك في ناد أو محفل.

كما كان - رحمه الله - ديّنًا، ورعاً، صالحاً، عفيف النفس، غير متزلف لذي جاه، أو نفوذ، شديد الاحتمال، وكان يربأ بالعلم أن تنال به حظوة، أو يسعى به إلى مرتبة.

كما كان فصيح اللسان، قوي الجنان، طويل الصمت، ذا جواب حاضر، وذهن متقد، تعجبه العبارات الأدبية الراقية، والمنطق الحسن؛ ومن أجل هذا فهو يحفظ من عيون الأدب، ومقطعات الشعر ما يزين به مجلسه، ويجلب فيه السرور لجلسائه.

وكان حريصاً على حسن الملبس، وجمال الهندام، مع التواضع، وعدم التكلف. كما كان يحرص على التنظيف، والرائحة الطيبة، بشكل ملفت للنظر جداً، فهو يحب الطيب، ويعتني به جداً، حتى إنك لترى المجالس التي يرتادها ـ أو يمر بها ـ تعبق رائحتها مما يعرف من أن الشيخ قد مر من هنا.

ومعنى ذلك أن حب الطيب، والحرص على إصلاح النفس ـ لا يعارض ما هو عليه – رحمه الله - من زهد، وتواضع، وورع.

والخلاصة أنه كان - رحمه الله - حلو الشمائل، من عرفه أحبه، وتعلق به، مع حفظ المهابة[٢].

ويقول الشيخ عبد الله - رحمه الله -:

(١) مكارم الأخلاق، لابن أبي الدنيا (ص: ٢٧).

(٢) سماحة الشيخ عبدالله بن حميد - رحمه الله - ، حياته العلمية والعملية (ص: ٨- ٩).

"وينبغي للداعي أن يكون قوله للناس ليناً، ووجهه منبسطاً طَلْقاً؛ فإن تليين القول مما يكسر سورة عناد العتاة، ويلين عريكة الطغاة.

فالداعي ـ أيا كانت منزلته، وأياً كان عقله وعلمه ـ ليس بأفضل من موسى وهارون ـ ^ ـ، ومن وُجِّهت إليه الدعوة ليس بأخبث من فرعون؟ وقد أمرهما الله ﷻ باللين معه في قوله ـ ﷻ ـ: M x y z { | } ~ يَخْشَىٰ L [1]، وقال ـ ﷻ ـ في موضع آخر: M . / 0 1 2 3 5 6 7 8 L "[2].

ويقول الرب ـ ﷻ ـ في حق سيد المرسلين: M 0 1 2 3 4 5 6 7 L [3]. أي: لو كنت خشناً جافياً في معاملتهم، لتفرقوا عنك، ونفروا منك، ولم يسكنوا إليك، ولم يتم أمرك من هدايتهم، وإرشادهم إلى الصراط السوي.

ذلك أن المقصود من الدعوة إلى الله ﷻ تبليغ شرائعه إلى الخلق، ولا يتم ذلك إلا إذا مالت القلوب إلى الداعي، وسكنت نفوسهم لديه، وذلك إنما يكون إذا كان الداعي رحيماً كريماً، يتجاوز عن ذنب المسيء، ويعفو عن زلاته، ويخصه بوجوه البر، والمكرمة، والشفقة.

كما ينبغي للداعي أن لا يُعنف أحداً، أو يعلن بالفضيحة، ويُشهر باسمه على رؤوس الملأ؛ فإن ذلك أبلغ في قول الدعوة، وأحرى للاستجابة والانصياع[4].

---

(١) سورة طه (آية ، ٤٤).

(٢) سورة النازعات (آية : ١٨- ١٩).

(٣) سورة آل عمران (آية : ١٥٩).

(٤) الدعوة إلى الله. وجوبها ، وفضلها ، وأخلاق الدعاة. للشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ (ص٢٦- ٢٧- ٢٨).

ثانياً / السمات الحسية لمنهج الشيخ - رحمه الله -

السمة الأولى : تقديم النقل على العقل.

السمة الثانية : التدرج في الاستدلال وغيره.

السمة الثالثة : القيام بحقوق ولاة الأمور.

المبحث الثاني

ما المراد بالمنهج الحسي؟

تمهيد:

سبق تعريف المنهج [(١)] ، وأما الحسي ففي اللغة: حس، والحس: الجلبة والقتل، والاستئصال، وبالكسر: الحركة، وأن يمر بك قريباً، فتسمعه ولا تراه، كالحسيس والصوت [(٢)].

الإحساس: للحواس الظاهرة، كما أن الإدراك للحس المشترك، أو العقل [(٣)].

والمراد بالمنهج الحسي في حياة الشيخ: الوضوح والخطوات الظاهرة المحسوسة في منهجيته العامة، ومنها تقرير مسائل الاعتقاد. وفي هذا الموضع الهام الذي تزل فيه الأقدام، ويظهر التخبط، وانعكاس الأحوال، نجد علماء الدعوة السلفية المتمثلة في علماء هذا البلاد وغيرها، ممن نهج منهج السلف، يحذون حذو المتقدمين في التأصيل، وبحث المسائل، والنظر في المصالح والمفاسد المترتبة من جراء الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فيتعاملون بمنهج الوسطية الواضحة التي امتدحها الله ﷻ في كتابه، فالذي يظهر من خلال القراءة في حياة الشيخ - رحمه الله - سلوك أقوم الطرق، وأوضح السبل، وذلك في التعامل مع الأمور الواضحة التي نعنى بها: الأمور الحسية؛ ككيفية استدلال الشيخ - رحمه الله -.

وأول ما نلحظه: تقديم النقل على العقل، هذا من جهة الاستدلال، ومن جهة النصيحة التي ذكرها النبي ﷺ، وفيها النصيحة لولاة الأمور، وغير ذلك من الأمور الحسية المشاهدة، سواء كانت من خلال المكاتبات، أو النصيحة المباشرة.

وأيضاً من السمات الحسية الظاهرة، إنكاره للأقوال الطاعنة في دين الله ﷻ، وفي كل ما يتعلق بهذه الشريعة، وهذا واضح في ردوده ومقالاته التي سنتطرق لها ـ إن شاء الله ـ في

---

(١) انظر: (ص ١٠٦).

(٢) القاموس المحيط للفيروزآبادي (ص: ٤٩٨).

(٣) الكليات للكفوي (ص: ٥٤).

الفصول المتعلقة بمسائل الردود بالتفصيل.

والسبب في ذلك توفيق الله ﷻ، ثم المنهجية السليمة التي سلكها علماء هذه البلاد، وتربوا عليها، بخلاف ما درج عليه غيرهم من تكفير الحكام، ووصفهم بالفسق، والتشهير الذي يكون على المنابر، وفي الأماكن العامة، فكان هذا سببًا في الاضطهاد والعنف، وسد الأبواب أمام الدعوة في بقاع الأرض المسلمة.

السمة الأولى

تقديم النقل على العقل

ومن القواعد المقررة: أن العقل تابع للنقل، وأن نصوص الكتاب والسنة لا يُحكم فيها القوانين العقلية التي اصطلح عليها طوائف من الخلق، بل نأخذ القواعد العقلية من النصوص، فالنصوص مصدر للقواعد العقلية؛ كما أنها مصدر للشرع وللأحكام، وهذا فيه إبطال لمن قدم العقل على النقل أو جعل العقل أصلاً والسمع فرعاً، وهذه القاعدة هي التي كتب فيها شيخ الإسلام كتابه العظيم العجاب **«درء تعارض العقل والنقل»** الذي قال فيه ابن القيم ـ رحمه الله ـ مثنياً عليه معظماً له (١):

وَاقرَأْ كِتَابَ العَقلِ وَالنَّقلِ الذِي مَا فِي الوُجُودِ لَهُ نَظِيرٌ ثَانِ

النقل: هو نصوص الوحيين التي أكرم الله بهما البشر، وجعلهما نوراً يضيء ظلمات الجهل، ويُبدد حوالك الأوهام، ويقطع أواصر الشك، ويقود إلى سعادة الدنيا والآخرة. فما أعظمها من نعمة ومنة وفضل! فلله الحمد على ذلك. و لكن الاستفادة منها مشروطة بعدم تقديم العقل على نصوص الكتاب والسنة، فمن قدم عقله عليها، هوى وسقط في وديان الضلال، ولن يخرج منها حتى يرجع إلى طريق الهدى والحق، و يُقدم النقل على عقله.

وفي الحقيقة فإن تقديم العقل مطلقاً على النقل تقليل لشأن النصوص، ويتولد من ذلك اعتقاد عدم شمولها لما تحتاجه البشرية، وهذا مركب خطير، ومنحنى مدمر لكل سعادة. ولا شك أنه يجلب الشقاء لأصحابه، فلما فهم العلماء الربانيون مصير من قدم عقله على نص من كتاب الله ﷻ، أو نص ثابت من سنة رسول الله ﷺ، التزموا بنهج تقديم النقل على العقل، ولو كان العقل يُكتفى به في الهداية الكاملة، ما أنزل الله ﷻ الكتب ولا أرسل الرسل، ولترك البشر يهتدون بعقولهم إلى شرائع الله ﷻ، وإلى أحكامه من عقائد، وغيرها.

فمن أعظم شعائر أهل الزيغ والضلال تقديم العقل على النقل، وجعله مساوياً

(١) انظر: النونية مع شرحها لأحمد بن عيسى (٢/٢٩٠).

لنصوص الشريعة، بل ربما فضلت أحكام العقول على ما جاء في المنقول.

والشيخ - رحمه الله - سلك مسلك الربانيين، الذي هو من أعظم وسائل الثبات على الحق، والتوفيق لكل خير، فماذا يقول الشيخ في هذا الموضع؟

يقول - رحمه الله -:

"فيقول القائل: العقل يؤيد هذا. فنقول له: العقل لا مجال له في العبادة، بل العقل عليه الانقياد، والقبول، والإذعان لما دل عليه الكتاب والسنة، أما العقل فاجعله بمعزل، لكن العقل قد يظهر له حكمة هذا الأمر، أو حكمة هذا النهي، ولا يكون ميزاناً في العبادة، كقول أحدهم من العقل: ينبغي أن نحث الناس على الخير، أو نحث الناس على صيام أيام معينة، فلو أوجبنا عليهم صياماً، أو صلاة، أو عبادة من العبادات، هذا سنة، فنقول كل بحسب اختياره، أو قلت مثلاً: ينبغي أن نأمر الناس أن يؤذنوا لصلاة الضحى؛ اهتماماً بصلاة الضحى، والعقل يؤيد ذلك؛ حتى يكون الناس متصلين بخالقهم لطول المدة بين الفجر والظهر، وإن قلت: إن العقل يؤيده"[1].

فالشيخ عبد الله بن حميد - رحمه الله - قد بين أن للعقل منزلة لا يمكن بحال للداعية المسلم أن يتجاوزها، فيشرع للناس أفعالاً وعبادات مخصوصة، ويكون بذلك متبعاً لهواه؛ لأن المعول عند أهل السنة والجماعة هو ما قاله الله عز وجل، وقاله رسوله ﷺ، لا ما توصلت إليه العقول والآراء، حتى ولو كان لبعض تلك العبادات أدلة شرعية كسنة الضحى، وإن كان قصد الداعية منها حث الناس على الخير، ودعوتهم إلى أداء الصلوات المفروضة، فالعقل له حد معين، فمن حاول أن يقحم عقله في غير حدوده، ضلَّ وأضلَّ، ولهذا صحت عقول أهل السنة والجماعة؛ لأنهم أعملوها في حدودها، ولم يتركوها فيما أمرهم الله عز وجل من الأمر بالتدبر؛ كما قال سبحانه وتعالى: M a b c d e f g L[2]، وجعل الله عز وجل في خلق السماوات والأرض آيات وعبرة لأولي الألباب الصحيحة،

(١) جهود الشيخ بن حميد في الدعوة إلى الله، محمد حسين الشيعاني (ص: ١٥٧).

(٢) سورة محمد (آية: ٢٤).

والعقول الراجحة، الذين وضعوا العقل موضعه الصحيح، دون إفراط أو تفريط [(١)].

وقد تكلم شيخ الإسلام - رحمه الله - على هذه المسألة، وتبعه على ذلك تلميذه ابن القيم، وأئمة الدعوة من بعدهم: ومن ثمرات تقديم النقل على العقل في حياة العلماء:

١) قوة البصيرة.

٢) قوة الاستنباط والبيان.

٣) قوة الجمع بين الأدلة؛ فلا يظهر تعارض بين دليلين إلا جمعوا بينهما، وهذا بخلاف ما نراه عند أهل الباطل المقدمين للعقول على النقول.

٤) انشراح الصدر لنصوص الوحيين.

٥) إغلاق باب الفكر في غير النصوص استنباطاً واستدلالاً، فتجد فكر العالم يحوم حول النصوص، فيأخذ من الدليل الواحد عشرات الأحكام والاستنتاجات.

يقول شيخ الإسلام - رحمه الله -: "فكان القرآن هو الإمام الذي يقتدى به؛ ولهذا لا يوجد في كلام أحد من السلف أنه عارض القرآن بعقل، ورأي وقياس، ولا بذوق، ووجد، ومكاشفة. ولا قال قط: قد تعارض في هذا العقل والنقل، فضلا عن أن يقول: فيجب تقديم العقل، و النقل — يعني: القرآن، والحديث، وأقوال الصحابة والتابعين — إما أن يُفوَّض، وإما أن يُؤوَّل.

ولا فيهم من يقول: إن له ذوقاً، أو وجدًا، أو مخاطبة، أو مكاشفة تخالف القرآن والحديث؛ فضلا عن أن يدعي أحدهم أنه يأخذ من حيث يأخذ الملك الذي يأتي الرسول، والأنبياء كلهم يأخذون عن مشكاته. أو يقول: الولي أفضل من النبي. ونحو ذلك من مقالات أهل الإلحاد، فإن هذه الأقوال لم تكن حدثت بعد في المسلمين. وإنما يعرف مثل هذه إما عن ملاحدة اليهود والنصارى؛ فإن فيهم من يجوِّز أن غير النبي أفضل من النبي، كما قد يقوله في الحواريين؛ فإنهم عندهم رسل، وهم يقولون: أفضل من داود وسليمان، بل ومن

(١) نقلاً عن رسالة ماجستير، جهود الشيخ بن حميد في الدعوة إلى الله، محمد حسين الشيعاني(ص: - ١٥٨).

إبراهيم وموسى وإن سموهم أنبياء، إلى أمثال هذه الأمور[١].

السمة الثانية

التدرج في الاستدلال.

والمراد بالتدرج في الاستدلال: متابعة الاستدلال؛ كتقديم الكتاب في الاستدلال، فإن لم يجد، فالسنة، فإن لم يجد، فالإجماع، وهكذا...، حتى يجد الدليل للمسألة.

وقد مرت معنا سابقاً مصادر الشيخ في التلقي[٢]، ويدخل في هذا الموضوع من باب أولى التدرج في العلوم الشرعية؛ كالعناية بالعقائد أولاً، ثم ينظر في بقية العلوم، وهذا هو منهج الرسل في الدعوة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ.

فالتدرج في الاستدلال يؤخذ من قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: M**فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ** L[٣]، فالرد إلى الله عَزَّ وَجَلَّ رد إلى كتابه، والرد إلى الرسول ﷺ رد إلى سنته ﷺ، وقوله ﷺ: "**لقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً: كتاب الله، وسنتي**"[٤].

والناظر في كتب الشيخ - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - يجد هذا المنهج واضحاً في طريقة الاستدلال، وأنه يبدأ بالنصوص من القرآن، ثم السنة، ثم يذكر الإجماع إن وُجد، حيث يسوق الشيخ - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - الأدلة من القرآن، ثم يذكر بعدُ الأدلة من السنة، وهذا واضح في: "رسالة الدعوة إلى الجهاد للشيخ - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -"، يذكر الأدلة في فضل الجهاد عموماً، والشهادة في سبيل الله عَزَّ وَجَلَّ فيقول:

قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: M ; < = > ? @ A B C D E F G I K L M N O P Q R S T U V W X Z [\ ] ^ _ ` a b d e f g h i j k L[٥].

---

(١) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية(١٣/ ٢٨- ٢٩).

(٢) انظر: (ص ٩٣).

(٣) سورة النساء (آية: ٥٩).

(٤) أخرجه البزار في مسنده(١٥/ ٣٨٥ برقم٨٩٩٣)، و الحاكم في المستدرك على الصحيحين (١/ ١٧٢ برقم ٣١٩

(٥) سورة آل عمران (آية ١٢٤- ١٢٦).

وقوله ﷻ: M } | { ~ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ © مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ´ µ ¶ ¸ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ! " # $ % & ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 L [(١)].

وأخبر عما يلقاه من يستشهد في سبيل الله ﷻ من الحياة، وأنهم عند ربهم يرزقهم ما يشاؤون، وتعلو وجوههم البشارة:

وقوله ﷻ: M d e f g h i j k m n o p q s t u v w x y z { | } ~ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ © بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ´ ¶ ¸ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ L [(٢)].

وقوله ﷻ: M A B C D E F H I J K L M N O P R S T U V L [(٣)].

وقوله ﷻ: M } | { ~ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى © أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا ´ µ L [(٤)].

وقولــــه ﷻ: M فَلۡيُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا L [(٥)].

فانظر - يا أخي - كيف يستثير الهمم لإعلاء كلمة الله ﷻ، ولحماية الضعفاء، وتخليص المظلومين!

وانظر كيف يقرن القتال بالصلاة والصوم، ويبين أنه مثلهما مكتوب على المؤمنين.

---

(١) سورة آل عمران (آية: ١٣٩- ١٤٢).

(٢) سورة آل عمران (آية: ١٦٩- ١٧٢).

(٣) سورة النساء (آية: ٧٦).

(٤) سورة النساء (آية: ٨٤).

(٥) سورة النساء (آية: ٧٤).

وكيف يشجع الخائفين أكبر تشجيع على خوض المعامع، ومقابلة الموت بصدر رحب، وجنان جريء، مبيناً لهم أن الموت سيدركهم لا محالة، وأنهم إن ماتوا مجاهدين، فسيعوضون عن الحياة الدنيا أعظم عوض، ولا يظلمون فتيلا.

وهذا باب واسع، لم يرد في ثواب الأعمال وفضلها مثل ما ورد فيه، ولهذا كان أفضل ما تطوع به الإنسان، وكان باتفاق العلماء أفضل من الحج والعمرة، ومن صلاة التطوع؛ كما دل عليه الكتاب والسنة، وهو ظاهر عند الاعتبار، فإن نفع الجهاد عام لفاعله ولغيره في الدين والدنيا، ومشتمل على جميع أنواع العبادات الباطنة والظاهرة، فإنه مشتمل من محبة الله ـ ﷻ ـ والإخلاص له، والتوكل عليه، وتسليم النفس والمال له، والصبر والزهد، وذكر الله ﷻ، وسائر أنواع الأعمال ما لا يشتمل عليه عمل آخر.

ولهذا ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلاَ أَنَّ رِجَالاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لاَ تَطِيبُ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي، وَلاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ، مَا تَخَلَّفْتُ عَنْ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ**»[(١)].

ورغَّب إليه ﷺ بسيرته، وثباته، وشجاعته، وصبره، وأخبر ما للمجاهدين في سبيل الله ﷻ من الأجر والثواب العاجل والآجل، وما يدفع الله ﷻ به من أصناف الشرور، وما يحصل به من العز، والتمكين، والرفعة، وجعله ذروة سنام الإسلام.

وقال ﷺ: «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِئَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**»[(٢)]، وقال ﷺ: «**مَنِ اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ**»[(٣)]، ولما في الصحيحين: أن رجلاً قال: يا رسول الله: **دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ**

---

(١) أخرجه البخاري(٦/٢٦٤١ برقم٦٨٠٠).

(٢) أخرجه البخاري(٣/١٠٢٨برقم ٢٦٣٧).

(٣) أخرجه البخاري (١/٣٠٨ برقم: ٨٦٥).

يَعْدِلُ الْجِهَادَ . قَالَ: « لاَ أَجِدُهُ ـ قَالَ ـ هَلْ تَسْتَطِيعُ إِذَا خَرَجَ الْمُجَاهِدُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَكَ فَتَقُومَ وَلاَ تَفْتُرَ وَتَصُومَ وَلاَ تُفْطِرَ » . قَالَ: وَمَنْ يَسْتَطِيعُ؟ [(١)] .

كما أخبر ﷺ: " أن أرواح الشهداء في جوف طير خضر تتبوأ من الجنة حيث تشاء، وأن الشهيد يُغفر له جميع ذنوبه وخطاياه، وأنه يُشفَّع في سبعين من أهل بيته، وأنه آمِنٌ يوم القيامة من الفزع الأكبر، وأنه لا يجد كرب الموت، ولا هول المحشر، وأنه لا يحس ألم القتل إلا كمسِّ القرصة"[(٢)]، وكم للموت على الفراش من سكرة وغصة! وأن القائم النائم في الجهاد أفضل من الصائم القائم فيما سواه، ومن حرس في سبيل الله لا تبصر النار عيناه، (وأن رباط يوم في سبيل الله خيرٌ من الدنيا وما فيها)[(٣)(٤)].

وهذه طريقة الربانيين من هذه الأمة: يقدمون الاستدلال بالقرآن، ثم بالسنة الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ، وهذا الأمر يتبين في مسائل الاعتقاد، وما يتعلق به من الغيبيات. وليس تقديم الكتاب على السنة أمراً بدهياً، بل هو الحق الذي ذكره الله ﷻ في مواضع كثيرة قال ﷻ: M G H I J L [(٥)].

السمة الثالثة

القيام بحقوق ولاة الأمر

للولاة حقوق يجب على المسلم أن يؤديها كما ينبغي؛ قربة لله ﷻ، وجمعاً للقلوب، ودرءًا للفتن، فالسلطان حقه كبير، ودوره عظيم في الدولة الإسلامية؛ إذ به يحفظ الدين، والعقول، والأعراض، والأموال، والدماء، ولو كان ظالمًا. فسلطان أو حاكم يظلم، خير من الفوضى؛ فلذلك يحث الرسول ﷺ الأمة الإسلامية على طاعة ولي الأمر؛ كما في

---

(١) أخرجه البخاري(٣/١٠٢٦برقم: ٢٦٣٣).

(٢) ساق الشيخ - رحمه الله - هنا أموراً منصوصاً عليها في عدة أحاديث رواها ابن ماجة في سننه (٢٧٩٩ ، ٢٨٠٠ ، ٢٨٠١ ، ٢٨٠٢، وقد صححها جميعاً الألباني في صحيح سنن ابن ماجة بأرقام (٢٢٥٧ ، ٢٢٥٨ ، ٢٢٥٩ ، ٢٢٦٠).

(٣) أخرجه البخاري (٣/١٠٩٥ برقم ٢٧٣٥) .

(٤) فتاوى سماحة الشيخ عبد الله بن حميد - رحمه الله - (ص: ٣٤٣ حتى ٣٤٦).

(٥) سورة المائدة (آية : ٩٢).

حديث العرياض بن سارية [١] قال ﷺ: **وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا بَعْدَ صَلاَةِ الْغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: « أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ ...»** [٢] وقوله ﷺ: **«تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلأَمِيرِ، وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ، فاسْمَعْ وَأَطِعْ»** [٣].

وكان للشيخ عبد الله بن حميد - رحمه الله - مواقف مع ولاة الأمور حقق فيها الشيخ - رحمه الله - أوامر رسول الله ﷺ في طاعة أولياء الأمور، فمن ذلك:

أنه حين اختاره الملك عبد العزيز قاضياً لمنطقة الرياض أجاب - رحمه الله - ، ثم نقله إلى منطقة السدير قاضياً فيها، فأجاب - رحمه الله - ، وحين كلفه الملك عبدالعزيز - رحمه الله - بقضاء القصيم أجاب، وكذا في توجهه إلى الحجاز أجاب [٤].

فهكذا حياة السلف مع ولاة الأمور، وهم أصحاب القوة، فبصلاحهم تصلح الأمور، وجفاؤهم وهجرهم يسبب كثيراً من المفاسد التي لا تحمد عقباها؛ لذا فإن نظرة أهل السنة والجماعة عميقة في هذا الجانب، وهم يلحظون قول الرسول ﷺ: **«تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلأَمِيرِ، وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ»** [٥].

---

(١) هو: العرباض بن سارية السلمي، صحابي، من أهل الصفة، مات بعد ٧٠هـ. انظر: تقريب التهذيب(٢/٢١).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٥/٤٤برقم: ٢٦٧٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢٥٤٩).

(٣) أخرجه مسلم (١٤٧٦/٣ برقم ١٨٤٧)

(٤) انظر: سماحة الشيخ عبد الله بن حميد- رحمه الله - ، حياته العلمية والعملية(ص: ١٨ ما بعدها)

(٥) سبق تخريجه في نفس الصفحة.